

التقاء موسى بالعبد الصالح الخضر

يقول الله تعالى: { فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا } هذا العبد هو: الخضر كما ذكر في الأحاديث أنه الخضر وصفه الله تعالى بالعبودية بأنه عبد، أي: ليس خارجاً من العبودية؛ وذلك لأن الخلق والبشر كلهم عبيد لله ومن جملتهم الأنبياء، وقد ذكر في الحديث أن الله قال: لموسى إن عبداً من عبيدي بمجمع البحرين وإنه أعلم منك، فهو عبد من عبيد الله تعالى، ولا شك أن العبودية لله تعتبر فضلاً وشرفاً، ورفعة؛ ولهذا الأنبياء عبيد الله ذكرهم الله تعالى بالعبودية، فقال تعالى: { وَادْكُرْ عَبْدًا دَاوُدَ } { وَادْكُرْ عَبْدًا أَيُّوبَ } { وَادْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ } وصفهم بالعبودية؛ لأن العبودية لله تعالى شرف وفضل ورفعة لمن كان عبداً لله تعالى، والعبودية على قسمين: عبودية الملك، وعبودية التعبد، الذي هو التذلل. وعبودية الملك عامة للخلق كلهم مؤمنهم وكافرهم؛ فإنهم جميعاً عبيد لله؛ يعني: مملوكون له، قال الله تعالى: { وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ } { وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلْمًا لِلْعِبَادِ } أي: جميع الخلق، وقال تعالى: { إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا }؛ فهذه عبودية عامة كل الخلق مؤمنهم وكافرهم عبيد لله؛ يعني: مملوكون له يتصرف فيهم، كما يتصرف مالك العبيد في عبيده؛ فهو يعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، ويصل من يشاء، ويقطع من يشاء، فيتصرف فيهم تصرف المالك في ملكه، وأما العبودية الخاصة: التي هي فضيلة وشرف، والتي يوصف بها الأنبياء، والصالحون من عباد الله؛ فإنها عبودية التعبد والتذلل، وإظهار الاستضعاف للرب - سبحانه وتعالى - وهذه هي العبودية الشريفة، والتي وُصف بها النبي - صلى الله عليه وسلم - في القرآن في عدة مواضع: في مثل قول الله تعالى: { وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا } أي: محمداً - صلى الله عليه وسلم - وصفه الله في هذا المقام مقام التحدي بأنه عبد، وكذلك في مقام الإسراء في قوله تعالى: { سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ } وصفه بالعبودية؛ لأن هذا مقام شرف وتفضيل له، وكذلك وصفه في مقام الدعوة في قول الله تعالى: { وَأَنْتَ لَمَّا كَانَتْ عَبْدًا لِلَّهِ يَدْعُوهُ } . هكذا وصفه، كما وصف عيسى، ووصف نفسه بأنه عبد لله تعالى فهذه العبودية عبودية شرف، وقال تعالى عن عيسى { لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ } المسيح لا يستنكف. يعني: لا يتكبر، ولا يعجب بنفسه، ولا يترفع عن العبودية لله تعالى، وكذلك قال: { وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ } أي: الملائكة أيضاً: لا يتكبرون عن التعبد والتذلل لله تعالى، كما وصفهم بالعبودية في قوله: { بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ } وَهَذِهِ الْعُبُودِيَّةُ هِيَ الَّتِي يُنَابِ أَهْلُهَا لِأَنَّهُمْ تَعَبَدُوا لِلَّهِ؛ يعني: عبده، ويتدلوا له، وتواضعوا له، وهي التي يرفع الله أهلها درجات في الآخرة، ويمدحهم، ومدحهم بقوله تعالى: { وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا } إلى آخر السورة ابتدأها بوصفهم بالعبودية، ومدحهم أيضاً بذكر ثوابه في الآخرة، في قوله تعالى: { عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ } وهؤلاء العباد هم أهل الشرف، وأهل الفضل، فعبودية الخضر وكذلك غيره من الأنبياء من جنس هذه العبودية، أي: عبودية التعبد لله تعالى، وكثير من المماليك يفتخرون إذا كان سيد أحدهم شريفاً وذا فضل، وكذلك أيضاً العبد المسلم يفتخر بالعبودية لربه، إذا قيل هذا ..